



Available online at <http://jgu.garmian.edu.krd>

Journal of University of Garmian

<https://doi.org/10.24271/garmian.22090119>



أبو الوفاء الكوردي (٤١٧ - ٥٠١ هـ) ومكانته في التصوف

دلير أحمد حسين الجاف

كلية التربية // قسم التربية الدينية // جامعة كوية

جواد فقي على

قسم القانون // كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية // جامعة كوية

حيدر لشكري

قسم التاريخ // كلية التربية // جامعة كوية

المستخلص:

فإن التاريخ الإسلامي المهيّب يحمل في طياته بصمات واضحة لكثير من العلماء شكّل العلماء الكورد جانبا كبيرا منهم ، ولعل دراستنا لواحد من هؤلاء العلماء الأفذاذ تبين ما كان عليه هؤلاء العلماء من علو الهمة وحسن التوفيق ، ومن أبرز هؤلاء العلماء الكورد تاج العرافين أبو الوفاء الكوردي (ت ٥٠١ هـ) الذي لا يعرفه كثير من المسلمين فضلا عن أبناء قوميته من الكورد ، وجاء بحثنا هذا إبرازا للمكانة العلمية وبيان لحقبة تاريخية ارتبطت بأبي الوفاء الكوردي ودوره في التصوف، فكانت الخلاصة تلك الدراسة في بحثنا الموسوم بـ(أبو الوفاء الكوردي ومكانته في التصوف) لعلنا نقدم ما ينفع القارئ ويزين التاريخ برجال تنوعت قومياتهم واتحدت أهدافهم.

Article Info

Received: February, 2022

Accepted : March ,2022

Published :April ,2022

Keywords

أبو الوفاء الكوردي، التصوف، الكورد
والتاريخ الإسلامي .

Corresponding Author

dlrahmad1975@gmail.com

المقدمة:

وهذا التفكير يوجه النفس الى الانصياع لكل ما يمت الى هذا الدين بصلة ، وبما أن الطرق الصوفية تأمر بمحاسن الأخلاق وسموها ورفعها فإن الطريق بهذا التفكير مهبط لانتشار الأفكار التي تحملها هذه الطرق .

٤. إن أغلب المرشدين ومشايخ الطرق الصوفية في كردستان والقائمين على الإرشاد الصوفي هم من العلماء الأجلاء الذين يحترمون الشعب الكوردي لذلك شعر الكورد المقيمون في هذا الإقليم الساحر برابط الاستقرار والطمأنينة النفسية في هذه الطرق التي تزكهم^١ .

ودخل التصوف الى كردستان في القرن الرابع الهجري عن طريق الشيخ علي بن أحمد بن يوسف الهكاري (ت٤٨٦هـ) حيث اتخذ له زاوية في قرية ديرش ، فتبعه خلق كثير وانتشر خلفاؤه في مشارق الأرض ومغاربها لا سيما في الهند وأفغانستان ، ومن أهم خلفائه المشهورين في كردستان الشيخ محمد المغربي البرواري ، والشيخ بيراموس ، والشيخ محمد المتوكل ، والشيخ موسى^٢ ، والشيخ علي الهكاري هو أستاذ لأستاذ الشيخ عبد القادر الكيلاني المشهور ، وممن أتى بالتصوف الى كردستان الشيخ عدي بن مسافر الهكاري (ت٥٥٧هـ) واتخذ له زاوية في قرية لالش ، وقد انحرف أتباعه وغالوا في اعتقادهم ومالوا عن تعاليم الإسلام الحنيف ، حيث ثبت أن أتباع هذه الطريقة كانوا يعملون بتعاليم الإسلام حتى منتصف القرن الثامن الهجري وفيهم رجال العلم والدعوة والفقهاء والحديث ، ثم انحرفوا عن جادة الصواب حتى أنهم يسمون الآن في كردستان بـ(اليزيدية) ووصل بهم السفه والرعوننة أنهم قالوا أن زيارة قبر عدي في جبال لالش أفضل من الحج وأفضل من كثير من العبادات فكان هذا سببا في ابتعاد الناس عنهم حتى انقرضت طريقهم فلا يعدون من المسلمين اليوم^٣ .

ثم خمدت أنفاس التصوف شيئا فشيئا في كردستان حتى آخر سنة ١٢٣٠هـ حيث ظهر العالم الكردي الجليل مولانا خالد فسطح نجم التصوف مرة أخرى على هذه الأسقاع^٤ ، وإن من أشهر الطرق الصوفية المعروفة في كردستان ما يأتي :

١. الطريقة القادرية : نسبة الى الشيخ عبد القادر الكيلاني (ت٥٦١هـ) ، تأسست هذه الطريقة في بغداد عاصمة العلم والعلماء في ذلك الوقت ؛ وتسلمت زمام القيادة لحركة الإصلاح والتجديد وخرجت قيادات لازمت العمل الدعوي والفكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والالتزام المباشر بالكتاب والسنة وفي ذلك يقول الشيخ الكيلاني : (طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة فمن خالفهما فليس منا)^٥ ، و(مما لا شك فيه أن السبب المباشر في ظهور الأسرة البرزنجية على مسرح الأحداث كان أساسه الزعامة الدينية ، إذ ثبتت هذه الطريقة القادرية وكان أول من قام بنشرها شيوخ العائلة البرزنجية)^٦ ، ومن أبرز شيوخ هذه الطريقة الشيخ حسن الكزردي ، والشيخ سعيد محمد النودهي ، والشيخ حسن ملا جامي ، والشيخ عبد الله الصويدي ، والشيخ يحيى بن عثمان الخلوتي ، والسيد بابا رسول^٧ .

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد . فالتاريخ الإسلامي زاخر برجال العلم والمعرفة ومن مختلف القوميات والبلدان مع تعدد المشارب والألوان ومن هؤلاء الرجال أبو الوفاء الكوردي القومية الصوفي المشرب والطريقة ، فجاءت درستنا عن هذه الشخصية بخطة مكونة من المحتويات الآتية :

التمهيد : نبذة عن التصوف في كردستان .

المبحث الأول : حياة الإمام أبي الوفاء ومكانته العلمية ، وهو على أربعة مطالب :

المطلب الأول : حياته ونشأته .

المطلب الثاني : تعليمه وثقافته .

المطلب الثالث : مكانته العلمية .

المطلب الرابع : وفاته .

المبحث الثاني : عصره الذي عاش فيه ، وهو على أربعة مطالب :

المطلب الأول : من الناحية السياسية .

المطلب الثاني : من الناحية الاقتصادية .

المطلب الثالث : من الناحية الاجتماعية .

المطلب الرابع : موقفه من الصراع الفكري في عصره .

المبحث الثالث : جهود الإمام أبي الوفاء في الدفاع عن الإسلام ، وهو على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : جهوده في الذود عن الشريعة وعلماء الإسلام .

المطلب الثاني : نصائحه لبعض الفرق الإسلامية .

المطلب الثالث : دوره في بيان حقيقة الإسلام للناس .

الخاتمة ثم المصادر والمراجع .

التمهيد : نبذة عن التصوف في كردستان .

كردستان حالها كحال كثير من البلاد الإسلامية التي انتشر فيها التصوف حتى حاز احتراما وتبجيلا كبيرا في أوساط شعبيها ، وكانت كردستان وما زالت أرضا خصبة لانتشار الفكر الصوفي بسبب عدة عوامل هي :

١. العامل الديني : حيث يعتبر الشعب الكوردي أنه لا بد لترسيخ العقيدة الإسلامية في النفوس من رياضة للنفس لتعود على الزهد والتقوى ولا طريق لهذا الأمر إلا من خلال شيخ مرشد يعرف أمراض القلوب والنفوس ويحسن ترويضها بما يتناسب وهذه البادئ السامية .

٢. العامل التربوي : إن الشعب الكوردي معروف بشفافيته الروحانية وتربيته على فعل الخيرات ، وهذه التربية كانت وما زالت تجعلهم في استجابة دائمة لكل أوامر الشريعة وأدائها ومن ضمن ذلك ما قامت عليه الطرق الصوفية من مبادئ سامية وأصول راقية في التربية والسلوك .

٣. العامل الجغرافي : من المعروف أن الشعب الكوردي يعيش في بيئة حباها الله بكل أنواع الجمال الطبيعي من أرض وغابات وبساتين ونباتات وجبال ومساحات خضراء زاهية ، وهذا يدعو المسلم الى التفكير في هذه النعم الإلهية فتشرح نفسه لمعرفة طريق الشكر لهذا الخالق العظيم الذي أنعم عليهم بهذه النعم ،

سبحانه ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾^{١٥} أي تركوا كل إثم بما فيه من الشرك الجلي والخفي ، وإن منكم من يعبدون الله بتقوى شاملة بعيداً عن ظاهر الإثم وباطنه مع ترك الشرك جلياً وخفيه حريصين على المتابعة المحمدية بحواسهم الحسية وطاقتهم المعنوية فهؤلاء هم الصوفية الذين لهم قدم صدق عند ربهم لرسوخهم في (مقام الإحسان) وتحققهم بأقوال النبي (ص) وأفعاله وأحواله ، ومجمل القول في ذلك أن هذا الحال هو الذي كان عليه أهل القرن الأول ثم الثاني ثم الثالث كما جاء في حديث الحبيب المصطفى (ص) ، ثم بعد ذلك أختلط المسلمون بغيرهم ودخلت الفلسفات الأجنبية واللغات الأجنبية فهب رجال الدين الإسلامي لحمايته والدفاع عنه ، فقام كل باختصاصه يدون ويؤلف ويكتب ، فهب رجال العربية فعملوا وأحسنوا ، وقام رجال التصوف فعملوا وأحسنوا ، وقام الأصوليون ليدافعوا عن عقيدة المسلمين ، وقام العابدون الورعون العارفون برهم ليبينوا للناس الدين الخالص والحال الذي كان عليه أهل القرن الأول من الرسوخ ، (في مقام الإحسان والتحقيق في الدين ظاهراً وباطناً ، وهم رجال التصوف ، فكان أسم التصوف علماً على هذه الطائفة القائمة على الحق الظاهرين عليه إلى قيام الساعة)^{١٦} ، كما جاء في حديث النبي (ص): (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ)^{١٧} .

وكما أنه في المحدثين وغيرهم منحرفون عن الجادة فالصوفية منهم الغث السمين : فمنهم المتحقق ومنهم المتبرك ومنهم المتلبس المتزندق ، قال تعالى ﴿ هُمْ ذَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ يَبْصِرُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾^{١٨} على كل حال فالحجة قائمة هي في الكتاب والسنة ، فمن ادعى أنه صوفي متحقق وخالف الكتاب والسنة في أقواله وأفعاله فمرفوض ادعاؤه ومردود قوله ، وما أكثر هذا الصنف بين صفوف المسلمين أعادنا الله والمسلمين من شرهم .

المبحث الأول : حياة الإمام أبي الوفاء ومكانته العلمية ، وهو على أربعة مطالب :

المطلب الأول : حياته ونشأته .

اسمه محمد بن محمد بن محمد بن زيد الحلواني . لقبه ابن كاكيس ، تاج العارفين . كنيته أبو الوفاء .

كانت ولادته في العراق سنة ٤١٧ هـ . ومسكنه قلمينيا قرية من قرى العراق ، ومن معاصريه أستاذه أبو محمد الشنكي ، وتخرج على يده علي بن الهيثمي ، وبقائين بطو ، وعبد الرحمن الطفسونجي ، وماجد الكردلي ، وأحمد البقلي وغيرهم ، وهو في الفروع شافعي المذهب^{١٩} .

فهو محمد بن محمد أبو الوفاء عرف بتاج العارفين ويعرف بين الأكراد بكاكيس وهو أبو الرجال ، ولد في ١٢ ربيع الأول عام ٤١٧ هـ للهجرة وتوفي سنة ٥٠١ للهجرة عن عمر ناهز ٨٣ عاماً^{٢٠} .

كل ما يعرف عنه قبل انخراطه في مجال التصوف أن اسمه محمد بن محمد ثم بات يعد من طليعة الأئمة الصوفية ، وسبب تسميته باسم أبيه لأنه توفي أبوه قبل أن يولد .

ومنطقته التي ولد بها تعرف باسم شهربور القديمة في محافظة السليمانية في كردستان العراق وهي تقع بين مدينتي دوكان ورائية يفصلها نهر الزاب الأسفل^{٢١} .

وكان في بداية أمره يحب العبادة ويتهجد ليه ، فوقع في خاطره أن العبادة لا تفيد بغير علم ، فطلب العلم ورحل إلى العلماء في بخارى

٢. **الطريقة النقشبندية :** ومؤسسها عبد الخالق ابن الإمام عبد الجميل الغجدواني ، ولد بقرية غجدوان القريبة من بخارى ودفن فيها أيضاً ، درس في بخارى القرآن وتفسيره على يد الشيخ صدر الدين ومما يذكر أنه عندما وصل شيخه إلى تفسير قوله تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^{٢٢} فكر الغجدوني للبحث عن حقيقة الذكر الخفي وكيفية ، وما لبث الغجدوني أن اهتدى إلى طريقة في الذكر حيث كان يغطس في الماء ويذكر قلبه بشعار التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فكان بذلك أول من اشتغل بالذكر الخفي على هذه الطريقة وأول من أدخل هذا النوع من الذكر في التصوف^{٢٣} ، والمؤسس الثاني وناشر الطريقة النقشبندية بعد الغجدواني هو الشيخ محمد بن محمد بهاء الدين البخاري وقد عرف بالنقشبندي (ت ٨٦٥هـ) ، ولد في قرية مجاورة لبخارى ومضى إلى قرية سلماس ليدرس أصول التصوف على الشيخ محمد باب السلماسي ويتعلم تلاوة التهليل والأذكار ، ولزم بعد ذلك السلطان خليل في سمرقند ، ثم مضى إلى بعض القرى يخدم الإنسانية ويصلح الطرق ويميط الأذى عن السبل وتوفي في قريته^{٢٤} ، ويعد مولانا خالد النقشبندي أول من قام بنشر الطريقة النقشبندية في كردستان وذلك سنة ١٢٣٣هـ حيث لاقت قبولا ممتازا عند الكورد في الوقت الذي كانت فيه الطريقة القادرية قد بلغت ذروة تأثيرها وانتشارها في هذه المناطق^{٢٥} .

٣. **الطريقة الخلوتية القصيرية :** من الطرق القديمة في كردستان ومؤسسها الشيخ نور الدين البريفكاني وأتباعها محدودون جدا في كردستان .

٤. **الطريقة الرفاعية :** نسبة إلى الشيخ العالم العلم أحمد الرفاعي رحمه الله ولهذه الطريقة فروع منتشرة في العراق وباقي الدول العربية والإسلامية^{٢٦} ، ويرجع تاريخ تأسيسها إلى القرن السادس الهجري وكان شعار الشيخ وأتباعه : (لا ينظم إلى طريقنا عاطل)^{٢٧} .

والتصوف الإسلامي هو الدين الخالص والنية الخالصة لله التي قامت على مبدأ تحقيق العبودية وتعظيم الربوبية ، وتحقيق عمارة البواطن بالمعارف والأسرار ، والرضا والتوكل والإخلاص ، وعمارة الظواهر بالعبادة والورع والتقوى ، ومتابعة النبي (ص) وآله في أقوالهم وأفعالهم ، وهذا ما كان عليه النبي (ص) وآله وأصحابه من التحقق بالدين ظاهراً وباطناً ، ورسوخاً في مراتب الدين الثلاث (الإسلام ، والإيمان ، والإحسان) الواردة في الحديث الصحيح الذي يرويه عمر بن الخطاب (رض)^{٢٨} وليس المراد من المسلم الموحّد أن يعبد الله على حرف ، والحرف على التفسير الأول هو العلة ، وعلى التفسير الثاني الذي نحن بصددده هو الطرف والجانب ، أي : أن تعبد الله على واحد ، وهو الظاهر فقط ، أو الباطن فقط ، وهذا خروج عن جادة التوحيد الخالص ، فمن نظر إلى الباطن فقط دون توجيه من نصوص الإسلام الظاهرة كان زنديقاً شيطاناً لرفضه الشريعة والحكمة ، ومن أخذ بالظاهر فقط دون الرجوع إلى روح الإسلام وبواطن أخلاقه وسلوكياته كان فاسقاً لخلو عبادته من الصدق والإخلاص ، وفي ذلك قال

الجيال المعروفة الآن بناحية حميرين ، تتلمذ له خلق لا يحصون من أرباب المقامات الرفيعة ، وهرع إليه أهل السلوك من كل فج عميق ، وكان جميل الصفات ، شريف الأخلاق ، كامل الأدب ، كثير التواضع ، شديد الاقتفاء لأحكام الشرع، مكرماً لأهل السنة والدين^{٢٩} .

وتتلمذ على الشيخ أبو الوفاء الكردي خلق كثير نذكر منهم :

١. محمد بن رستم الكردي الشيخ جاكير الوفاي : وهو إمام زمانه وقدوة الزهاد والعباد ، جمع بين علمي الظاهر والباطن^{٢٨} .

٢. الشيخ عبد القادر الكيلاني حيث قال في حقه : ليس على باب الحق كردي مثل أبي الوفاء ، وكان يحله ويحترمه كثيراً^{٢٩} ، وقيل أن الشيخ أبو الوفاء كان يوماً يتكلم على الناس فوق الكرسي فدخل الشيخ عبد القادر إلى مجلسه وهو يومئذ شاب أول ما دخل إلى بغداد فقطع تاج العارفين كلامه وأمر بإخراج الشيخ عبد القادر ممن مجلسه ثلاث مرات ، ثم نزل واعتنقه وقبل بين عينيه وقال : قوموا لولي الله يا أهل بغداد ، ما أمرت بإخراجه إهانة له بل لتعرفوه^{٣٠} .

٣. الشيخ ماجد الكردي : من أهل (قوسان) أو (كوشان) قرية من قرى قرداغ ، وكان من المريدين المختصين بتاج العارفين ، وكانت له كرامات كثيرة وخوارق وفيرة^{٣١} ، وقد أثنى عليه الشيخ عبد القادر الكيلاني^{٣٢} .

٤. الشيخ القدوة مطر البارزاني رضي الله عنه ، وكان جليل القدر شيخ العراق ، وصاحب كرامات وأحوال ، أثنى عليه تاج العارفين بقوله : الشيخ مطر وارث حالي ومالي ولقبه بالجلج الراسخ^{٣٣} .

٥. الشيخ عدي بن مسافر ، وكان من أجل مشايخ بلاد المشرق وأكثرهم قدراً وأعلامهم مرتبة ، وهو أحد أركان هذه الطريقة ، وكان الشيخ عبد القادر الكيلاني يعظمه ويثني عليه كثيراً ، وشهد له بالسلطنة على الأولياء وقال : لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي بن مسافر، وكان تاج العارفين يثني عليه كثيراً ويقدمه على غيره وينب إليه كثيراً من الفضل^{٣٤} .

٦. الشيخ علي بن الهيتي ، الشيخ القدوة من أجل مشايخ العراق، قطب وقته ، كانت له كرامات باهرة ، وكانت عنده الخرقتان اللتان ألبسهما الصديق أبي بكر ﷺ لأبي بكر بن هوارا في النوم فاستيقظ فوجدتهما عليه وهما ثوب وطاقيّة ، وأخذهما منه الشيخ الشنكي وأخذهما منه الشيخ أبو الوفاء الكردي وأخذهما منه الشيخ علي بن الهيتي^{٣٥} .

المطلب الرابع : وفاته :

توفي رحمه الله سنة خمسمائة وواحد ، وقبره بالحدادية من واسط مشهور^{٣٦} ، حيث مرض سنة ٥٠١ للهجرة فجمع أصحابه ، فقرأوا له القرآن وتوسل إلى الله أن تكون له العافية ، وأوصاهم الوصية النافعة بقوله : (أحببت أن أوصيكم بوصية تنتفعوا بها إن شاء الله فليعلم كل منكم أنه لم يبدع شيء من دون مبدع وأشار إلى قوله تعالى ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾^{٣٧} وهذا سبيلكم إلى الجنة ...) ، وفرق حوائجه وتوفي رحمه الله في عام ٥٠١ للهجرة تاركاً خلفه إرثاً من الدعوة إلى الله^{٣٨} ، حتى أن العديد تأثروا بوفاته ومنهم الشاعر ابن الحبشية

وخراسان وسمرقند وأصبهان ونيسابور وغيرها من البلاد ، ثم رجع وقد أخذ عن جماعة ، وكان يقوم في كل يوم ليلة ألف ركعة يواصل القيام ويطوي أياماً ويقنات في سياحته بنبات الأرض^{٣٩} .

ويعد الإمام تاج العارفين من الأئمة الذين عرفوا بخصال حميدة منها : محبته لأهله ، وإنه نذر نفسه للصوفية وعلومهم ، وغلب على لسانه العجمة كونه نشأ في قوم والدته بني نرجس ، وانخرط في عالم الزهد والتصوف ، فالشيخ كانت نشأته يتيماً ، ومن ثم نشأ عند أحواله ، وازداد حبه للتصوف والطريقة الصوفية الأمر الذي ترك أثراً في ذكره لدى دارس سيرته ، وأبو الوفاء أستاذ الشيخ عبد القادر الكيلاني في التصوف والجيلاني عبارة في حقه حيث قال: (ليس على باب الحق رجل كردي مثل أبي الوفاء)^{٤٠} .

المطلب الثاني : تعليمه وثقافته

نشأ الإمام أبو الوفاء محباً للثقافة الدينية فكان من أهم علماء التصوف زهداً وخشية^{٤١} ، فقد أثنى عليه الشيخ عبد القادر الكيلاني وعلى علمه وفضله ، فأسمى الشيخ أبي الوفاء من طليعة الصوفيين الذين تركوا أثراً بالغاً ، فقد بقيت ذكره خالدة عند الأكراد إلى يومنا هذا ، فهو معروف عندهم بالأخ الأكبر (كاكيس)، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عميق الأثر الذي تركه شيخ العارفين أبي الوفاء ، وتميزت ثقافته بأنها الثقافة الدينية التي هدف من خلالها إلى بث الوعي لدى قومه .

المطلب الثالث : مكانته العلمية :

الشيخ أبو الوفاء أول من سعي بتاج العارفين عند الكورد^{٤٢} ، وكانت له مكانة علمية مرموقة في مجتمعه فهو الذي لُقّب بتاج العارفين ، وهذه التسمية أو اللقب فإنما يدل على تعمقه في العلم ومعرفته في أصول الدين الإسلامي الحنيف .

فالمكانة العلمية التي وصل إليها الإمام أبو الوفاء كانت في منزلة العالم الزاهد المحب لقومه وأناسه فكان الشيخ والعالم والمتصوف ، فكل العلوم التي تابعتها للشيخ تاج العارفين كانت عبارة عن خطباً وحكماً في دروس^{٤٣} ، وهذه الخطب نجم عنها دعوته إلى الدين الحنيف ، وقد حفظ التاريخ فكر هذا العالم فخلده كتباً وعبر .

وله مكانة عند أصحاب العلم وخاصة شيخه عبد القادر الجيلاني ، حيث أورد الشيخ علي بن الهيتي ذلك بقوله : (كان شيخنا أبو الوفاء يتكلم على الناس فوق الكرسي فدخل الشيخ عبد القادر فاعتنقه وقبل بين عينيه)^{٤٤} .

ومن أبرز شيوخه الذين تتلمذ عليهم وأخذ الطريقة منهم ونشرها بين العباد شيخه أبو محمد الشنكي واسمه طلحة ، أصله ومسكنه في العراق ، كان عالماً جليل القدر عظيم الشأن ، انتهت إليه الرئاسة في هذا الشأن في وقته ، عرف بصدقه في تربية المريدين السالكين الصادقين ، وتخرج عليه خلق كثير لعل من أجلبهم شيخنا أبو الوفاء الكردي صاحب الترجمة والشيخ منصور ، والشيخ عزاز ، وغيرهم كثير ، وكان رحمه الله لطيف الصفات ، وافر العقل ، مخفوض الجناح ، شديد الحياء ، دانياً في اتباع الشرع وآداب الشرع وآداب السنة^{٤٥} ، وشيخه هو الشيخ الجليل أبو بكر بن هوارا ، كان شيخاً عظيم القدر ، كبير الشأن ، وإليه ينتهي أعيان مشايخ العراق ، وهو أول من أسس المشيخة بالعراق ، وهو من الهواريين طائفة من الأكراد ، سكن بطائح ، ومنهم من سكن كركوك وطوز خرمانو ، ومنهم من جاء إلى

حيث نظم في رثائه أبياتاً من الشعر دلّت على الأثر العميق الذي تركه خلفه فقال :

مات من كان للحقيقة عيناً ومعيناً للمتقين وعونا
فبكاه الهدي جديراً مع الزمـه وقد كان سردينك
ورؤوس الرؤوس أضحين حيرى حيناً لفتى تاج سائر العارفين
وبضعة من محمد وعلى كنت هادياً ونوراً مبيناً
زهرة قد زهت زماناً وكنت زهرة ضل بعدها العمر كونا^{٣٩}

فأعجب الخليفة المستظهر من ذلك وأمر أن تكتب هذه الأبيات في قرطاس ، وأن تعلق على ضريح تاج العارفين ، لكن تاج العارفين زاره في المنام وطلب منه ألا يعلقها والله تعالى أعلم ، والمهم أنه رحمه الله ترك إرثاً عظيماً وذكرنا حسناً من علم وذكر حسن .

والقول الراجح لمكان قبره هو ما كتبه الشيخ عبد الكريم المدرس في كتابه (علمائنا في خدمة العلم والدين) أنه : ثبت عندنا واشتهر اشتهاً قريباً من التواتر أن تاج العارفين أبا الوفا مدفون في قرية (يوشين) قرب مركز ناحية برزنجة^{٤٠}

المبحث الثاني : عصره الذي عاش فيه ، وهو على أربعة مطالب :

المطلب الأول : من الناحية السياسية .

لقد شهدت بغداد في فترة الحكم العباسي الثالث توالي خمسة خلفاء وقد ارتبط تاريخ الدولة العباسية فيها بسلاطين آل بويه أكثر من ارتباطه بالخلفاء العباسيين، فهذه الحقبة الممتدة أكدت سيطرة البويهيين على الحكم، وفي ذلك الحين زحف أمراء الديلم أبناء بويه على العراق للاستيلاء على بغداد، ولأجل أن ينال المستكفي تعضيدهم ويتقي شرهم لقبهم بألقاب: فأحمد لقبه بمعز الدولة، وعلياً لقبه بعماد الدولة، والحسن لقبه بركن الدولة، فلم يلبث أحمد أن استولى على بغداد، واضطر الخليفة إلى أن يقلده السلطنة كما نقش اسمه على العملة، وذكر اسمه مقرّوناً باسمه في خطبة الجمعة.

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً، استبداد بني بويه بالحكم^{٤١} ، وقد وصف "توماس ارلوند" هذا الاستئثار بقوله: (وأصبح الخلفاء لا قيمة لهم، في الوقت الذي غدا فيه غيرهم أكثر قوة ونفوذاً، وأصبحوا يديرون العالم الإسلامي من غير أن يشيروا أو يحفلوا بمن يدعي أنه أمير المؤمنين، بل ولقد أصبحوا ألعوبة في أيدي سلاطين بني بويه، يجلسونهم على العرش، ويعزلونهم متى شاؤوا أو شاءت أهواؤهم)^{٤٢}.

وقد ظهر آل بويه في البداية كجنود مقاتلين في جيوش أمراء الديلم حتى استطاع أكبرهم علي بن بويه أن يكون حاكماً على مقاطعة الكرج ومن ثم سيطر على فارس ، أما أحمد بن بويه الابن الأصغر، فإن الظروف السياسية جعلته يحقق نجاحاً أكبر من أخويه، حيث استغل ظروف الفوضى، ومن هناك زحف نحو بغداد واحتلها^{٤٣}.

وقد كان تغلغل البويهيين واستيلائهم على السلطة، نظراً لما كانوا يتمتعون به من شجاعة ، فارتقوا من رتبة الجنود العاديين في جيش "ماكان بن كالي" إلى أمراء ، غير أن هذا الأخير، دخل في صراع مع "مرداويج بن زياد"، فانهز أولاد بويه إلى مرداويج، لما رأوا بأن الكفة تميل إليه فأجزل لهم العطاء فولى علياً بلاد الكرج ثم غضب عليهم، وأمر أخاه بصرفهم، فصرف حسن وأحمد، بينما بقي علي لشهرته بالبأس والقوة والكرم، إلا أن مرداويج قرر طرده، وأرسل له جيشاً، فترك علي بلاد الكرج واتجه إلى أصبهان^{٤٤} وانتصر

على المظفر بن ياقوت، وانضم إليه عدد من الديلم، وأصبح عدد جنوده سبعمائة ثم سار إلى اصطخر وبقي علي بن بويه في الميدان، فدانت له بلاد فارس ، أما أخوه الحسن الذي كان عند (مرداويج) رهينة لأخيه فقد استطاع بعد موت (مرداويج) أن يحتل الري وأصفهان ، وكذلك احتل أحمد بن بويه كرمان وهمدان ، ثم دعاه أخوه علي لمعاونته فترك كرمان^{٤٥} ، وما هذا الاستطراد إلا بهدف رسم خارطة واضحة المعالم لعرض سلطة البويهيين وتسلطهم وتأسيس إمارة وراثية في بغداد مستندة على الجيش وقوته، وفي ظل لعب الخليفة دور المشاهد فإن أهل العراق لم يقفوا مكتوفي الأيدي تجاه ذلك، بل قامت عدة مقاومات، فدامت ردحا من الزمن فلم يستطع حتى رجل البويهيين القوي عضد الدولة الذي حكم أن يقضي على عمران السلي بل اضطر في نهاية المطاف أن يعترف به أميراً على البطيحة مما جعل أهل بغداد يلتفون بعمران، فكثرت أعمال الشغب والاضطرابات في المدينة فعزز من مكانة عمران بن شاهين الذي أثبت بحق أنه شوكة في وجه البويهيين^{٤٦} .

وإذا ما أردنا أن نرسم ملامح للوضع السياسي في زمن المتصوّف أبي الوفاء الكردي فإنّه يتسم بالآتي :

- ١- اتّسع رقعة البويهيين وانتشارهم
- ٢- تميّز العصر بالتقلّبات
- ٣- انتشار التصوف كان من جانب نشر الوعي الديني الممزوج بالوعي الاجتماعي
- ٤- الوضع السياسي لعب دوراً هاماً في نشوء الفكر الصوفي
- ٥- ارتبط الوضع السياسي بمرحلة النهوض الديني للفكر الصوفي.

المطلب الثاني : من الناحية الاقتصادية :

إن الحديث عن الحياة الاقتصادية في بغداد قبل فترة ٤٣١هـ - ١٠٤٠م يجرنا إلى الحديث عن مقومات وركائز اقتصادها، وما كانت عليه البلاد في تلك الفترة ، فكان لابد من التفصيل كالآتي :

الزراعة: اعتنى العباسيون بالزراعة وعمارة البساتين والحدائق التي اعتمدت على إدخال العلوم عليها ودراستها، فعمدوا إلى تسيير الري حتى يتمكن الفلاح من زراعة الأرض دون جهد أو مشقة، حيث أنهم شقوا الترع وأقاموا المصارف وشيدوا القناطر ، ولعل من أهم أسباب اهتمامهم بالري هو الموقع الذي تتميز به بغداد وتوفرها على شبكة هائلة من المياه، فكان الأثر البالغ لهر دجلة ، فدجلة صالح للملاحة ، الأمر الذي عاد بالخير الكثير على بغداد وأهلها فانصب تركيزهم على البصرة وبغداد في تنظيم الري ، وبلغ هذا النظام شأوا بعيداً من الدقة حتى أن الأوروبيين أدخلوا كثيراً من هذه النظم في بلادهم، وقد عنيت الدولة العباسية بصيانة السدود والترع، وجعلوا عليها جماعة من الموظفين أطلق عليهم اسم المهندسين، ومهمتهم المحافظة على هذه السدود خشية انبثاق الماء منها^{٤٧} .

ومن صور الاهتمام بالري أيضاً أن جعلوا له ديواناً أطلقوا عليه "ديوان الماء" تحت إشراف موظف كبير يعاونه أكثر من عشرة آلاف عامل، بالإضافة إلى هذا يقيمون مقاييس على الأنهار للوقوف على مقادير ارتفاع الماء وانخفاضه وهذه العناية بالمياه قد انعكست على الإنتاج الزراعي في وفرته وتنوعه فنجد الحنطة والشعير والتمر والأرز والفواكه كالعنب والمشمش والخضروات والرياحين وأنواع الأزهار كالترنجس والياسمين والورد، وكذلك الجوز والموز واللوز والقرنفل.

نقصت ، وذكر ذلك ابن الجوزي وتحدث عن الزلزال الذي ضرب بغداد سنة ٣٤٧هـ في نيسان من نفس السنة ، وفي أيار منها ظهر جراد أتلغ الغلات الصيفية والثمار ببغداد ، أما عن حالات الغلاء التي شهدتها بغداد فكثيرة، نذكرها على التوالي: ١. سنة ٤٢٩هـ ، كان بالعراق غلاء شديد فرخص العقار ببغداد، حتى بيع ما ثمنه دينار بدرهم .

٢. سنة ٤٣٢هـ في جمادى الأولى غلت الأسعار حتى بيع القفيز الواحد من الدقيق الخشكار بنيف وستين درهما، ونقصت قيمة العقار حتى صار ما كان يساوي دينار يباع بأقل من درهم حقيقة، وما يسقط من الأبنية لا يعاد وتعطلت كثير من الحمامات والمساجد والأسواق .

٣. وفي سنة ٤٧٣هـ غلت الأسعار حتى بلغ الكر من الطعام أربعة آلاف وثمانمائة ، ومات كثير من الناس جوعا، وجافت الطرقات من الموتى .

٤. وفي عام ٤٣٤هـ للهجرة اشتد الغلاء ببغداد حتى اضطروا إلى أكل الجيف والروث وماتوا على الطرقات، وأكلت الكلاب لحومهم وبيع العقار بالرغفان ووجدت الصغار مشوية مع المساكين^{٥٣} .

٥. وقد تكررت مظاهر الغلاء، فنجد في سنة ٤٧٣هـ غلت الأسعار ببغداد حتى بلغ الكر من الطعام أربعة آلاف وثمانمائة، ومات الكثير من الناس جوعا، وجافت وتكررت الوضعية في محرم من سنة ٤٧٨هـ كثر الغلاء والفناء، أما في شعبان من نفس السنة كثرت الرياح والعواصف بحيث هدمت كثيرا من الأبنية .

٦. وفي سنة ٤٨٨هـ في ذي الحجة منها نزل في بغداد برد عظيم حيث جمد الماء في الحمامات ، وجمد بول الدواب في الطرقات.

٧. وقد كان للحرائق نصيبها من تفاقم الوضع الاقتصادي وترديه، ففي سنة ٣٤١هـ وفي ربيع الآخر وقع حريق عظيم ببغداد في سوق الثلاثاء، فاحترق فيه للناس ما لا يحصى^{٥٤} .

المطلب الثالث : من الناحية الاجتماعية :

إن تركيبة المجتمع البغدادي تنقسم بين العرب والفرس والترك والكورد ، وهذا لم يمنع من وجود عناصر أخرى: كالعبيد، وأهل الذمة وغيرهم ، وفيما يأتي تفصيل ذلك :

العرب: وينقسمون إلى مسلمين وأهل ذمة، والمسلمون ينقسمون إلى سنة وشيعة ، وكان من أثر الانقسام في فترة البويهيين إلى شيعة وطوائف أن تعرض المجتمع الإسلامي إلى التفكك والتنازع، فهناك السنيون الذين كانوا يكونون السواد الأعظم ويتمتعون بقسط وافر من الحرية في عهد نفوذ الأتراك وفي عهد أمرة الأمراء، وهناك الشيعة الذين قاسوا كثيرا من الاضطهاد، حتى استولى بنو بويه على بغداد فتمتعوا بشيء غير قليل من الطمأنينة في ظل البويهيين المتشيعين، ومن ثم قامت المنازعات بين الشيعة والسنة وبعد هذا الانتعاش في عهد بني بويه أصبحوا يقيمون شعائهم في شيء كثير من الحرية، وإن كانت مساكنهم لم تتعد المحيط بسوق الكرخ غربي بغداد، وفي سنة ٤٤٩هـ تعطلت الجمعة بسبب فتنة عظيمة في بغداد بين الرافضة والسنة وقتل فيها خلق كثير ، وفي السنة التالية احتفل الشيعيون بيوم عاشوراء الذي جعلوه من أيام الحزن عندهم، وفي الثامن عشر من ذي الحجة من هذه السنة احتفل الشيعيون بيوم غدیر خم، وأمر معز الدولة بإظهار الزينة في بغداد فرحا بعيد الغدير وضربت الدبابد والبوقات^{٥٥} .

وكانت عملية الحراثة تتم باستعمال الأبقار إضافة إلى الاعتماد على الأسمدة المختلفة التي من شأنها المساهمة في رفع الإنتاج وجودته.

وقد كانت الأرض في فترة حكم البويهيين من الناحية القانونية ملكا للدولة، وأبقاها الخلفاء في أيدي أصحابها يزرعونها ويؤدون خراجا عنها، ولم يكن إقطاع الأرض مقتصرًا على الخليفة بعينه بل أن صاحب الأرض الواسعة كان يقطع أحيانا بعض المزارعين جزءا من أرضه، فيقومون بزراعتها ويمدهم بما يحتاجون إليه من مواد وأدوات زراعية، ويسهل عليهم عملية الري، فيمنحهم جزءا من المحصول، ويقوم المقطع بأداء الخراج على الأرض المقطعة بواقع العشر فقط، وتبقى الأرض ملكا له يرثها أبناؤه من بعده^{٥٦} .

الصناعة: اهتم العباسيون في فترة حكم البويهيين بالصناعة، فازدهرت الصناعات والحرف ، ويذكر المؤرخون وجود عدد كبير منها، فكان بها أربع مائة رحي مائية ، وأربع آلاف معمل لصنع الزجاج ، وبضعة آلاف مصنع لصنع الخزف ، وازدهرت في بغداد صناعة الأدوات الحديدية والخشبية المختلفة، وصناعة السفن والقوارب سواء الحربية أو التجارية، وتقدمت صناعة حياكة الثياب الحريرية والقطنية والأقمشة بأنواعها، وقد كان لوجود العنصر الأجنبي تأثيره على الصناعة، فنجد صناعة الورق التي جلبوا لها الصناع وأرباب الحرف من مصر نظرا لشهرتها بها، وكذلك الصناعات الزجاجية التي أخذوها عن الفرس، وبلغت درجة كبيرة من الدقة والإتقان، وبلغ من مهارة الصناع أن الزجاج كانوا يرصعونه بالجواهر ويكتبون عليه بالذهب المجسم، ويصنعون أقداحا بديعة الصنع^{٥٧} .

التجارة: أما عن التجارة فكانت بغداد مزدهرة باعتبارها مصدرا من مصادر الرزق، وقد أولى الخلفاء اهتمامهم بها أيما اهتمام، نظرا لما تلعبه من دور اقتصادي فعال متمثلة في الأسواق الداخلية ، فكان لكل صناعة سوق خاص فنجد سوق البزازين الذي تباع فيه الأقمشة والمنسوجات، إضافة إلى العمائم الدقيقة والمناديل، وسوق الحدادين ، كما انتشرت تجارة الرقيق، فكان في بغداد شارع يسمى "شارع الرقيق" ويسمى تاجر الرقيق نخاسا، ولعل سبب شهرتهم ما كان لديهم من جوار حسان ، وكان ببغداد سوق البطيخ تباع فيه الفواكه، ومما تجدر الإشارة إليه أن سوق بغداد في تلك الفترة كان مقياسا لأسعار البضائع العالمية في ذلك الحين^{٥٨} .

وقد انعكست سيادة آل بويه على اقتصاد بغداد من خلال تملك الإقطاع، وأصبحوا غير معنيين بدفع ضريبة الأرض، فلم تمض سنة على بغداد حتى اشتد الغلاء بها، فأكل الناس الميتة والسنائير واكل الناس خروب الشوك، وكانوا يسلقون حبه ويأكلونه ، فانتشر المرض جراء ذلك فأدى إلى موت الكثيرين حتى عجز الناس عن دفن الموتى، فكانت الكلاب تأكل لحومهم، فكان نظام الإقطاعات أول فساد ببغداد، لأنه أضعف همة الفلاحين الذين يقومون بزرع الأرض وإصلاحها، وتنميتها^{٥٩} .

الأسعار: لقد أشار المؤرخون إلى الوضعية التي كانت عليها بغداد من غلاء شديد وقحط وتدني في الأوضاع الاقتصادية، فلعبت الكوارث الطبيعية دورا كبيرا في هذه الحالة، فيذكر ابن الأثير أن في سنة ٤٦٧هـ زادت دجلة زيادة عظيمة، وأغرقت كثيرا من الجانب الشرقي لبغداد، وأغرقت أيضا مقابر باباب التين بالجانب الغربي منها، وأشرف الناس على الهلاك^{٦٠}، بينما في سنة ٤٧٠هـ زاد الفرات زيادة عظيمة جاوزت المألوف، وأغرقت الكثير من الغلات ، وتمردت الصراة وخربت قناطرها العتيقة الجديدة، وأشقى أهل الجانب الغربي من بغداد على الغرق وبقيت الزيادة بها ثلاثة أشهر ثم

فالخاصة: هم أصحاب الخليفة من ذوي قرياه ومن رجال الدولة البارزين كالأشراف والوزراء والقواد والكتاب والقضاة والعلماء والأدباء، وكان لهؤلاء باب خاص يدخلون منه لمقابلة الخليفة أطلق عليه اسم "باب الخاصة" كما جعل لهم مطابخ خاصة واسطبلات خاصة^{٦١}.

أما العامة: وهم السواد الأعظم من الناس ولهم مرافق خاصة بهم، كباب العامة ومطابخ العامة، وتنظم هذه الطبقة من أهل الحرف والصنائع والتجار والفلاحين والجند والرقيق، ويقال لهم العامة والدهماء والغوغاء، وهم في العادة أقل ثقافة ودراية بأمور دينهم حتى ولو كانوا من ذوي اليسار كطبقة التجار.

وقد ألقى هذا التقسيم ظلاله على الحياة الاجتماعية؛ فالصنف الأول ظل يعاني الفاقة والعوز والحرمان على الرغم من أغلبيته الساحقة، وهو أبرز الأطراف التي تدير عجلة الاقتصاد، فعانى الأمرين من جهتين جهة تسلط الحكام واستحوذهم على خيرات البلاد والانتفاع بها وانفرادهم في الملك والمال، أما الصنف الثاني فعاش في بحبوحة على عكس الصنف الأول، وقد اهتم الحكام والخلفاء بالترف والغناء وجمع المال.

ومن صور البذخ: الاهتمام بالشعراء وإجزالهم من خلال مدحهم، فهذا المتنبي يذهب إلى الكوفة ويمدح ابن العميد فوصله من جهته ثلاثون ألف دينار، ثم سار إلى فارس فامتدح عضد الدولة بن بويه فأطلق له أموالاً جزيلة تقارب مائتي ألف دينار، وقد تبادوا كذلك في إقامة أفراحهم فقيل أنه زفت ابنة عضد الدولة إلى الخليفة الطائع ومعها من الجواهر شيء لا يحصى، ويذكر أنه وردت على عضد الدولة هدية من صاحب اليمن فيها قطعة واحدة من عنبر وزنها ستة وخمسون رطلاً^{٦٢}.

المطلب الرابع: الصراع الفكري في عصره:

كانت هناك كثير من العقائد والأفكار في عصر أبي الوفا كالباطنية والشيعة، وزاد الغلو في التصوف وجاءت الأفكار والعقائد التي سارت زمنياً في عصر أبي الوفاء مرافقةً لانتشار الفكر الصوفي الذي عثر عن انتماء ديني ساد في زمن أبي الوفاء الكردي^{٦٣}، ومن يلقي نظرة عابرة على القرون الغابرة ويرى ما خلفه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم وحشرنا في زمريهم من تأليف في كل فن من فنون العلم، وفي كل جهة من جهات الفن والحضارة التي أشعت النور على العالم بعد أن كان يربض تحت تأثير الجهل والفوضى يعترف بأن للإسلام الفضل الأول في مبعث هذه الحضارة وتثبيت دعائمها، وأن الصدر الأول من الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين حملوا العبء الأكبر في نشر هذه الشريعة السمحة وبت أسرارها في هذا الكون وتحويله من طبيعة جرداء إلى نور أبلج يضئ لكل سالك في هذا الطريق، وكان للصوفية الحظ الأوفر في بعث هذا العمل الشريف؛ فكانت المدرسة النبوية التي خرجت أمثال: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ثم كانت مدرسة الصحابة التي أنجبت أمثال: سعيد بن المسيب والحسن البصري وطاوس اليماني وإبراهيم التيمي وسادة غيرهم لا يحصون فضلاً وعلماً وعملاً، وهم الذين كان لهم الفضل الأكبر في تثبيت دعائم هذه الشريعة وبهم كان تأثر الأئمة الكبار أمثال: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم رضي الله عنهم، فأبو حنيفة كان تأثره الأكبر بشيخه الزاهد المشهور عطاء بن أبي رباح وأمثاله وكان يقول: ما لقيت أفضل من عطاء، وقال الشعراني في كتابه (الأجوبة المرضية) عن شيخه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري أنه قال: يكفيني في شرف طريق القوم قول موسى للخضر عليهما

ومن طبقات الشعب في ذلك العصر، أهل الذمة وهم النصارى واليهود وكانوا يتمتعون بكثير من ضروب التسامح الديني، وقيمون شعائرتهم الدينية في أمن ودعة، ولعل سبب وجودهم هو الحاجة إلى المعيشة المشتركة، وما ينبغي أن يكون فيها من وفاق بين المسلمين واليهود والنصارى نوعاً من التسامح، ولم تتدخل الحكومات الإسلامية في شعائر أهل الذمة، بل كان يبلغ من تسامح الخلفاء أن يحضروا مواعيدهم وأعيادهم ويأمرؤا بحمايتهم، وكان لكل طائفة ممثل لهم لدى الخليفة، وكانوا يؤدون الضرائب لبيت المال مباشرة، وقد اندمج أهل الذمة في المجتمع العربي في بغداد ولم يقتصر نشاطهم على الترجمة والاشتغال بالطب بل انكبوا على دراسة اللغة العربية وأدائها^{٦٤}.

الفرس: لما قامت الدولة العباسية كان ذلك على أكتاف الفرس، وكان من الطبيعي أن ينالوا حظوة في دولة بني العباس، فقد اعتمد الخلفاء عليهم في تدبير كثير من أمور دولتهم، وازداد نفوذهم لما انتقلت السلطة إلى بني بويه، وقامت المنافسة بين الترك والديلم الذين كان البويهيين ينتسبون إليهم ويعتمدونهم في إقرار نفوذهم وأدى هذا التقسيم والتفريق بين مختلف فئات المجتمع العباسي آنذاك إلى اشتداد الصراع والتنافس بين العرب والفرس، مما أدى إلى ظهور حركة نشاز عرفت في التاريخ العربي باسم الحركة الشعبية فسادت ثلاث نزعات^{٦٥}:

الأولى: تذهب إلى أن العرب هم خير الأمم، وحجتهم في ذلك أن العرب عاشوا جاهليتهم متمتعين دوماً باستقلالهم رغم مجاورة أكبر دولتين: الفرس والروم، ولما جاء الإسلام استطاعوا أن يقوضوا سلطان هاتين الدولتين ويقضوا على نفوذهما، وأن أشرف خلق الله كان منهم، بالإضافة إلى مناقبهم وخصالهم وشرفهم وما أضفاه الإسلام عليهم^{٦٦}.

الثانية: تذهب إلى أنه ليس هناك أمة أفضل من أمة، فالناس سواسية ودليلهم أنه لا فضل عند الله إلا بالتقوى.

الثالثة: تذهب إلى التقليل، بل الحط من شأن العرب متحججين في ذلك على أن العرب قوم بادية، ليس لهم من المدنية والتحضري شيء، وإذا كان فخرهم بالإسلام فإنه دين ليس للعرب وحدهم بل دين الناس جميعاً، وإذا كان الفخر بالملك والأجناد فأين ملك العرب من ملك الأكاسرة والفراعنة والقيصرية وسلطان سليمان والإسكندر؟ وإذا كان بالنبوة فجميع الأنبياء ماعدا أربعة من غير العرب.

الترك: نظراً لما كانوا يتمتعون به من مميزات عسكرية جعلت الخلفاء يعتمدون عليهم، ويسندون إليهم المناصب العليا إلا أنهم في تلك الفترة كانوا يتصارعون، ولما أدرك معز الدولة خطرهم أوصى ابنه بختيار بمداواة الديلم والتودد إلى الترك، ولكن بختيار على الرغم من استعانتها بالأتراك لم يسلم من شرهم، فعزلوه وانضموا إلى ابن عمه عضد الدولة، ومهما يكن من شيء فقد كان الجيش في عصر بني بويه يتألف من الديلم والأتراك والعرب والأتراك والفراعنة والأكراد وغيرهم من المرتزقة^{٦٧}.

وإلى جانب هذا التصنيف يوجد تصنيف طبقي بين أفراد المجتمع البغدادي، فنجد أن المجتمع الإسلامي ومنذ القديم يتألف عادة من طبقتين: خاصة قليلة لها زمام الأمور ومقاليد الحكم، وعامة هي الأغلبية الساحقة متقوقعة في فاقة من الأمر وعواصف الفقر والحرمان والبؤس والشقاء.

معاملة ، ومطالبي لكم أشد المطالب . أنا مفتش القلوب ، أنا علام الغيوب ، أنا ملاحظ اللحظ ، أنا مراصد الهم ، أنا مشرف على الخواطر ، أنا العالم بأطراف الجفون ، لا يفزعكم صوت جبار دوني ولا مسلط سواي ، فمن أرادكم قسمته ، ومن أذاكم أذيته ، ومن عاداكم عاديته ومن والاكم واليته ، ومن أحسن إليكم أرضيته ، أنتم أوليائي وأنتم أحبائي ، أنتم لي وأنا لكم) ، ويعقب الشيخ الأكبر رضي الله عنه في (روح القدس) بعد أن أورد بعض هذا الكلام النفيس بقوله : هذه أحوال العارفين يا ولي ، وهكذا تكون عمارة القلوب ، وأما أهل زمانك فوالله لو أطلعت عليهم لرأيت إن نظرت إلى نفوسهم رأيت نفوساً سامدة ، وإن نظرت إلى قلوبهم رأيت قلوباً لا همة ، من العمارة العلوية القدسية خالية ، على عروشها خاوية ، أجاماً لأسود ضارية ، ومرابض لذئاب عاوية ، نسأل الله تعالى عند رؤيتهم العافية ، أين هم يا ولي من قوم وصفهم أبو الفيض حيث قال : إن لله لصفوة ، وإن لله لخيرة ، قيل يا أبا الفيض ما علامتهم قال : إذا خلع العبد الراحة ، وأعطى المجهود في الطاعة ، وأحب سقوط المنزل ثم قال :

منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بلبيلها أن يهجعوا

فهبوا عن الملك الكريم كلامه فهما تذلل له الرقاب وتخضع

فقال له بعض من كان في مجلسه ؟ من هؤلاء القوم يا أبا الفيض رحمك الله ؟ قال : ويحك هؤلاء قوم جعلوا الركب لجباهم وسادا ، والتراب لجنوبهم مهادا ، هؤلاء قوم خالط القرآن لحومهم ودماءهم فشغلهم عن الأزواج ، وحركهم بالإدلاج فوضعوهم على أفئدتهم فأسرجت ، وضموه إلى صدورهم فأنشروا ، وتصدعت همهم به فكذحت ، فجعلوه لظلمتهم سراجا ، ولسبيلهم منهاجا ، ولحجتهم افلاجا ، يفرح الناس وهم يحزنون وينام الناس ويسهرون ، ويفطر الناس ويصومون ، ويأمن الناس ويخافون ، فهم خائفون حذرون وجلون مشفقون مشمرون يبادرون من الفوت ويستعدون للموت إلى آخر القصة رضي الله عنهم ورزقنا بهم واتباعهم ، فهذه هي بعض أوصاف القوم رضي الله عنهم وخصوصا في عصر أبي الوفا^{٦٧}

المبحث الثالث : جهود الإمام أبي الوفاء في الدفاع عن الإسلام ، وهو على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : جهوده في الذود عن الشريعة وعلماء الإسلام .

يعد الإمام تاج العارفين ، حامل لواء الدفاع عن أهل السنة ، فتراه يتحيز الفرص للدفاع عنهم والذب عن أعراضهم فهو . والذي يعد بحق المدافع الحق أيضاً . بين حقيقة ما عليه هؤلاء العلماء ، ورد كثيراً مما رُمي به هؤلاء الأئمة الأجلاء الذين حملوا راية الإسلام ودافعوا عن عقائده تجاه الملاحدة ، وأتباع الفرق الضالة ، وجماعة المبتدعة ، وقد تبعه في ذلك الكثير في كثير من المواضع ، وكان يرد دَعَاويه وأقاويله التي فيها غشٌّ من هؤلاء الأعلام ، وترى ذلك واضحاً في دعوته إلى التصوف ونبذ الفرقة والإلحاد ، فكان من الأئمة الذين تركوا فضلاً كبيراً في نشر الوعي الإسلامي ، وإذا ما تتبعنا سيرته فيمكننا أن نستشف منها نقاط دفاعه عن الإسلام والتي رأيناها فيمن كتب عنه وهو الشيخ الواسطي حيث أفرد لموقفه من الإسلام ودفاعه عنه فقال : (هو أول الطبقة المباركة المتبرك بذكرها طبقة الخرق الشريفة الشنيكية)^{٦٨}

ويمكن أن نحدد نقاط دفاع الشيخ أبي الوفا عن الإسلام من خلال مايلي :

الصلاة والسلام: ﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلًا ﴾^{٦٩} فإن موسى طلب طريق الإرشاد من الخضر مع سعة علم موسى ، ومع كونه نبياً مرسلأ قال ذلك ، وكذلك يكفيني في شرفهم أن الإمام أحمد بن حنبل كان إذا توقف في مسألة يسأل عنها الشيخ أبا حمزة البغدادي وقوله : ما تقول في هذه المسألة يا صوفي ؟ فإذا حل أبو حمزة إشكال تلك المسألة تعجب أحمد من ذلك ، وكان رضي الله عنه يقول لولده عبد الله : يا ولدي عليك بالحديث وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية فإهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه ، فلما صحب أبا حمزة البغدادي وعرف أحوال القوم كان يقول لولده :^{٧٠} (يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة) ، وبلغنا أن الإمام أبا عمرو الأوزاعي طلب الصحبة لإبراهيم بن أدهم فلم يجبه إلى ذلك وقال له : يا عبد الرحمن لا يطير الطير إلا مع شكله فرجع الأوزاعي عن طلب الصحبة لعلمه بعلو مراقي الصوفية وهذا من الأوزاعي أعظم دليل على شرف الطريق وأهلها ، وبلغنا أن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه كان يجالس الصوفية كثيراً ويقول : يحتاج المتصوف إلى معرفة اصطلاح الصوفية ليفيده من العلم ما لم يكن عنده ، وقيل له مرة : ما الذي استفدته من مجالسة الصوفية ؟ فقال : استفدت منهم شيئين قولهم : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ، وقولهم : إن لم تشغل نفسك بالخير شغلتك بالشر ، وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا يقول : يكفيني دليلاً على شرف الطريق إذعان الأئمة لأهلها في كل زمان وسؤالهم الدعاء منهم في الشدائد دون العكس ، فهذا شيء قليل من شرف الصوفية وفضلهم . أما أوصافهم فهذه نبذة يسيرة على لسان أحد أئمتهم : قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد^{٧١} بسنده عن محمد بن شاذان الرازي قال : (سمعت يوسف بن الحسين يقول حضرت مع ذي النون مجلس المتوكل ، وكان المتوكل مولعاً به يفضل على العباد والزهاد ، فقال له المتوكل : يا أبا الفيض صف لنا أولياء الله ؟ فقال ذو النون : يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته ، وجللهم بالبهاء من أروية كرامته ، ووضع على مفارقهم ذخائر الغيوب ، فهي معلقة بمواصله المحبوب فقلوبهم إليه سائرة وأعنيهم إلى عظيم جلاله ناظرة ، ثم أجلسهم بعد أن أحسن إليهم على كراسي طلب المعرفة بالدواء ، وعرفهم منابت الأدوية ، وجعل تلاميذهم أهل الورع والتقى وضمن لهم الإجابة عند الدعاء ، وقال يا أوليائي إن أتاكم عليل من فرقي^{٧٢} فداووه ، أو مريض من إرادتي فعالجوه ، أو مجروح بتركي إياه فإلفوه ، أو فارمني فرغبوه ، أو أبق مني فادعوه ، أو خائف مني فأمنوه أو راغب في مواصلي فمكنوه أو قاصد نحوي فأدوه ، أو جبان في متاجرتي فجرئوه ، أو أيس من فضلي فعدوه ، أو راج لإحساني فبشروه ، أو مستشرف نحوي فأرشدوه ، أو مسيء بعد إحساني فعاتبوه ، أو ناس لإحساني فذكروه ، وإن استغاث بكم ملهوف فأعينوه ، ومن وصلكم في فواصله ، فإن غاب عنكم فافتقدوه ، وإن ألزمتكم جنانية فاحتملوه ، ومن قصر في واجب حق فاتركوه ، وإن أخطأ خطيئة فأنصحوه ، فإن مرض فعودوه ، وإن وهبت إليكم هبة فشاطروه ، وإن رزقتكم فائروه ، يا أوليائي لكم عاتبت ، ولكم خاطبت ، وإياكم رغب ، ومنكم ألوفاً طلبت ، لأنكم بالآثرة أثرت وانتخب ، وإياكم استخدمت واصطنعت واختصصت ، لا أريد استخدام الجبارين ، ولا مطاوعة الشرهين ، جزائي لكم أفضل الجزاء ، وعطائي لكم أوفر العطاء ، وبذلي لكم أغلى البذل ، وفضلي عليكم أكبر الفضل ومعاملتي لكم أوفى

تصديق القلب، وبالإسلام جنس العمل ، يقول السفاريني : (قال شيخ الإسلام : حقيقة الفرق بين الإسلام والإيمان والدين أن الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسوله هو الاستسلام لله وحده ، فأصله في القلب وهو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه ، فمن عبده وعبد معه إليها آخر لم يكن مسلماً ، ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً ، والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له ، والعبودية له ، هكذا قال - رحمه الله - وعزاه لأهل اللغة ، فالإسلام في الأصل من باب العمل عمل القلب والجوارح ، وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب والأصل فيه التصديق ، والعمل تابع له : ولهذا فسر النبي (ص) الإيمان بإيمان مخصوص وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وفسر الإسلام بإسلام مخصوص وهو المباني الخمس ، وهكذا في سائر كلامه (ص)

فعن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي (ص) : الإسلام علانية ، والإيمان في القلب^{٧٥} ، وهذا لأن الأعمال تظهر علانية ، والتصديق في القلب لا يظهر ، وكان النبي (ص) يقول في دعائه إذا صلى على الميت : (اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان)^{٧٦} ، لأن العمل بالجوارح إنما يتمكن منه في الحياة ، فأما عند الموت فلا يبقى غير التصديق بالقلب .

ومن هنا قال المحققون من العلماء : كل مؤمن مسلم ، فإن حقق الإيمان ورسخ في قلبه ، قام بأعمال الإسلام ، كما قال (ص) : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)^{٧٧} ، فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام ، وليس كل مسلم مؤمناً ، فإنه قد يكون الإيمان ضعيفاً ، فلا يتحقق القلب به تحققاً تاماً مع عمل جوارحه بأعمال الإسلام ، فيكون مسلماً وليس بمؤمن الإيمان التام كما قال الله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾^{٧٨} ، ولم يكونوا منافقين بالكلية على أصح التفسيرين وهو قول ابن عباس وغيره بل كان إيمانهم ضعيفاً ، وبدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^{٧٩} ، يعنى : لا ينقصكم من أجورها ، فدل على أن معهم من الإيمان ما تقبل به أعمالهم^{٨٠} .

فحقيقة الإسلام التي أراد أن يوصلها الإمام أبو الوفا لم تكن مختلفة عن حقيقة الإيمان والإسلام ، فهي كانت مستمدة من تعاليم الإسلام ، فالإمام أبو الوفا كانت تعاليمه تهدف إلى شحذ همة المسلمين والتمسك بالدين الحنيف .

وتعاليم تاج العارفين كانت تستمد تعاليمها من وصايا الرسول محمد (ص) ، وهذا يذكرنا بقول النبي (ص) لسعد بن أبي وقاص حينما سأل النبي (ص) : لِمَ لَمْ تَعْطِ فَلَانًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ؟ فقال النبي (ص) : (أو مسلم)^{٨١} ، يشير إلى أنه لم يحقق مقام الإيمان ، وإنما هو في مقام الإسلام الظاهر ، ولأرباب أنه متى ضعف الإيمان الباطن ، لزم منه ضعف أعمال الجوارح الظاهرة أيضاً ، لكن اسم الإيمان ينفي عن ترك شيئاً من واجباته كما في قوله (ص) : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) ، ودعا الإمام تاج العارفين إلى اتباع تعاليم الإسلام الحنيفة وإلى الإيمان الصادق النابع من القلب ، وهذا مبني على أن التصديق القائم بالقلوب متفاضل ، وهذا هو الصحيح ، وهو أصح الروايتين عن أحمد ، فإن إيمان الصديقين الذين يتجلى الغيب

١. تعبد الله على مذهب أحمد بن حنبل ودافع عن الإسلام كشيخه الإمام رحمه الله .
٢. كان شافعي المذهب وأفاد من مذهب الإمام الشافعي رحمه الله في أصول الدين والتصوف والعقيدة .
٣. حرصه على التقيد بأوقات الصلاة ، فقد ذكر الواسطي قصة له فقال : (أذن المؤذن للمؤذن أذن للعصر فقال الشيخ أبو الوفا للشيخ الشنكي سيدي هذا المؤذن أذن للعصر قبل ذلك العرش)^{٧٥} .
٤. استلم رئاسة الطريق الصوفية في عصره وكان له تلامذة كثير استفادوا منه ومن طريقته في نشر الوعي الديني .
٥. ما يدل على حسن سيرته إشادة الشيخ الرفاعي فيه وبخصاله الحميدة .

٦. دعوته الناس إلى الله بدعوة صادقة ، يقول رحمه الله : (من أخلص لله تعالى في معاملته تخلص من الدعوة الكاذبة ، ومن ضيع حكم وقته فهو جاهل ، ومن قصر عنه فهو غافل ، ومن أهمله فهو عاجز)^{٧٦}

فالشيخ أبو الوفا أثبت أنه الإمام الذي أمضى حياته في سبيل الدفاع عن الإسلام ، ونبذ التطرف ، وجهوده في ذلك كانت جليلة واضحة من خلال دعوته الصادقة التي تمثلت في جوانب عدة أوجزها بما يأتي:

١. دعوته إلى التمسك بالدين .
٢. التزامه بوصايا الإمام أحمد وتمثله لها .
٣. التزامه بالتدريس وخاصة عندما تولى التدريس في مدرسة أبي حنيفة ببغداد ، حيث نفع العديد من الطلاب وأنشأ تلاميذ حفظه للدين^{٧٧} .

المطلب الثاني : نصائحه لبعض الفرق الإسلامية

إن مدار سعادة الإنسان في الدارين وفوزه وفلاحه في الحياة : يعتمد أساساً على مدى اعتصامه بكتاب الله وسنة رسوله (ص) لأنهما النوران اللذان يضيئان للإنسان طريقه وهو يعبر دروب الحياة ، فزاه يؤكد على ضرورة إتباع العلماء من أئمة الدين في فهم نصوص الوحي ، باعتبارهم أعرف الناس بمفاهيم الكتاب والسنة

فالنصائح التي قدمها للفرق الإسلامية كانت مبنية على نبذ الفرقة والتعصب للمذهب الواحد ، فهو ينحوي عن الاعتدال وعدم التشدد ، ويأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر فيقول (إخواني تيقظوا من سنة الغفلات فإن الغفلة موجبة لقطيعتكم)^{٧٣} ، وله باع كبير في قصص ذكرها الواسطي في كتابه تاج العارفين^{٧٤} عندما كان ينصح الخلفاء والعامة في ضرورة محاربة النفس وعدم اتباع الشهوات ، فالإمام أبو الوفا في معظم نصائحه لقومه كانت يحثهم على التمسك والسير على النهج السليم الذي أمر به الإسلام الحنيف .

المطلب الثالث : دوره في بيان حقيقة الإسلام للناس

إن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته مقرونا بإقرار اللسان وعمل الجوارح ، والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له ، وذلك يكون بالعمل ، وهو الدين ، كما سعى الله تعالى في كتابه الإسلام ديناً ، وفي حديث جبريل سعى النبي (ص) الإسلام والإيمان والإحسان ديناً ، وهذا أيضاً مما يدل على أن أحد الإسمين إذا أفرد دخل فيه الآخر ، وإنما يفرق بينهما حيث قرن أحد الإسمين بالآخر ، فيكون حينئذ المراد بالإيمان : جنس

٣. عاش في عصر صعب في كل نواحيه ومع ذلك لم يترك الدعوة إلى الله وفق المنهج الصحيح السليم حسب تعاليم القرآن والسنة .
 ٤. كان صاحب قدم ثابتة في الدفاع عن الإسلام وعلمائه ضد كل من تسول له نفسه الانتقاص منهم .
 ٥. نصح الفرق الأخرى في عصره إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة بنية صافية وهمة عالية.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش :

- ^١ إسهام علماء كردستان في الثقافة الإسلامية ، محمد زكي أحمد ، دار آراس للطباعة والنشر مطبعة وزارة التربية في كردستان العراق ، ١٩٩٩ م ، ص ٢٩٥ .
- ^٢ للأسف لم يعثر الباحث على تاريخ وفاة هؤلاء الأفذاذ رغم كثرة التتبع .
- ^٣ إسهام علماء كردستان في الثقافة الإسلامية ، محمد زكي ، ص ٣٠٧ .
- ^٤ الأكراد في يهدينان ، أنور المائي ، دهوك ، مطبعة هاوار ، ط ٣ ، ٢٠١٠ م ، ص ١٣٥-١٣٧ .
- ^٥ هكذا تكلم الشيخ ، جمال الدين فالح ، ص ٢٢-٢٣ .
- ^٦ الشيخ محمود الحفيد البرزنجي والنفوذ البريطاني في كردستان العراق حتى عام ١٩٢٥ ، للبياتي ، عبد الرحمن إدريس صالح ، دار الحكمة ، لندن ، ٢٠٠٤ م ، ص ٤١ .
- ^٧ التصوف في شمال العراق في العهد العثماني في القرن السابع عشر ، أنقرة ، ٢٠١٦ م ، ص ١٠٧-١٢٢ .
- ^٨ سورة الأعراف : ٥٥ .
- ^٩ الحقائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية ، للخاني . عبد المجيد بن محمد ، دار آراس للطباعة ، أربيل ، ط ٢ ، ٢٠٠٢ م ، ص ١٦٠-١٦١ .
- ^{١٠} أعلام الكورد ، مير بصري ، مطبعة رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، ١٩٩١ م ، ٥٣-٥٤ .
- ^{١١} الشيخ محمود البرزنجي ، للبياتي ، ص ٤٣ .
- ^{١٢} تاريخ الطرق الصوفية ، الشيخ يونس إبراهيم السامرائي ، مكتبة الشرق الجديد ، بغداد ، ١٩٨٨ م ، ٣٢-٣٥ .
- ^{١٣} الطرق الصوفية ظروف النشأة وطبيعة الدور ، للزوي . ممدوح ، الأهالي للطباعة ، دمشق ، ٢٠٠٤ م ، ص ١٤٢ .
- ^{١٤} وتام الحديث الوارد عن سيدنا عمر بن الخطاب (رض): (قَالَ يَنْتَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) : ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَجْدَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ

لقلوبهم حتى يصير كأنه شهادة ، بحيث لا يقيبل التشكيك ولا الإتياب ، ليس كإيمان غيرهم ممن لم يبلغ هذه الدرجة بحيث لو شكك لدخله الشك .

مما تقدم يتبين أن تاج العارفين أكد أن الأعمال تدخل في معنى الإسلام ومعنى الإيمان أيضا ، ويشمل ذلك أعمال الجوارح الظاهرة كما يدخل في مسماها أيضا أعمال الجوارح الباطنة ، فيدخل في أعمال الإسلام عند أبي الوفا : إخلاص الدين لله ، والنصح له ولعباده ، وسلامة القلب لهم من الغش والحسد والحقد ، وتوابع ذلك من أنواع الأذى ، ويدخل في معنى الإيمان عنده : وجل القلوب من ذكر الله ، وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه ، وزيادة الإيمان بذلك ، وتحقيق التوكل على الله ، وخوف الله سرا وعلانية ، والرضا بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد (ص) نبيا ورسولا ، واختيار تلف النفوس بأعظم أنواع الآلام على الكفر ، واستشعار قرب الله من العبد ودوام استحضاره ، وإيثار محبة الله ورسوله على محبة ما سواهما إلى غير ذلك من الأعمال القلبية ٨٢ . فأبو الوفا كانت دعوته الناس إلى الإيمان مبنية على جانبين جانب العقيدة الإسلامية الحنيفة ، وجانب التمسك بالدين الحنيف استنادا لتعاليم الإمام أحمد ، ويمكن إيجاز أهم نقاط دعوة تاج العارفين إلى تعاليم الدين الإسلامي بما يأتي :

أولاً : التأكيد على ضرورة إتباع العلماء من أئمة الدين في فهم نصوص الوحي .

ثانياً : الدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة النبوية الشريفة .

ثالثاً : الدعوة لرفض الباطل والزور .

رابعاً : الدعوة للوعظ واستيعاب الكم الكبير من المريدين للدعوة الإسلامية .

خامساً : التركيز على إصلاح القلوب وتهذيب النفوس .

سادساً : جذب الناس والتأثير فيهم .

وقد نجح الشيخ تاج العارفين في أن يجدد الحياة في قلوب المسلمين من خلال رسمه منهجا متكامل وحكما للتربية الروحية التي مزجها بأسلوب دعوي قوي يقوم على جمال الوعظ والإرشاد ، والتمسك بالكتاب والسنة قولاً وعملاً ، وقد كان لظهور الشيخ أبو الوفا ، وانتمائه إلى المذهب الحنبلي ثم سلوكه طريق التصوف أثر كبير في التخفيف من حدة مواقف بعض المتصوفة الحنابلة تجاه التصوف ، واستطاع الشيخ تاج العارفين أن يعود بالتصوف إلى مساره الصحيح المبني على الكتاب والسنة ، ويقضي على التصوف البدعي المبني على الضلالات ، فالشيخ أبو الوفا قدّم للإسلام التعاليم الحنيفة التي أوصى بها الرسول محمد (ص) ، فرحمه الله رحمةً واسعة وجعل ما قدّمه في ميزان حسناته يوم الدين .

الخاتمة :

بعد هذه الرحلة المباركة مع هذا الشيخ الجليل يمكن استخلاص بعض النتائج وكما يأتي :

١. إن الشيخ رحمه الله كان من العلماء العاملين الذين تركوا بصمة واضحة في التاريخ الإسلامي .
٢. وضع النقاط على الحروف في التفريق بين أهل التصوف الحقيقيين عن بعض المتصوفة الذين انتسبوا للتصوف لغايات في نفوسهم ولم ينهلوا من مناهله الصافية .

- ^{٣١} ينظر: علماؤنا في خدمة العلم والدين ، للشيخ عبد الكريم المدرس ، ص ٤٦٥ .
- ^{٣٢} ينظر: قلائد الجواهر ، ص ١٠٧ .
- ^{٣٣} ينظر: قلائد الجواهر ، ص ١٠٧ .
- ^{٣٤} المصدر نفسه ، ص ٨٥-٩١ .
- ^{٣٥} ينظر: قلائد الجواهر ، ص ٩٠ .
- ^{٣٦} روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين ، ص ٥٧-٥٨
- ^{٣٧} الأنبياء ، الآية ١٠٤
- ^{٣٨} تذكرة المفتين في مناقب أبي الوفا تاج العارفين ، بيرشهرار ، د عماد رؤوف ، والدكتور زرار صديق ، جامعة أربيل ، ٢٠١٦ ، ص ٥
- ^{٣٨} المرجع نفسه ، ص ٦٢
- ^{٣٩} تاج العارفين أبي الوفا كاكيس في طبقة المشايخ العارفين ، للشيخ ابن عبد المحسن الواسطي ، الجزء الثاني ، ص ٧٧
- ^{٤٠} علماؤنا في خدمة العلم والدين ، عبد الكريم المدرس ، ص ٤٧٣
- ^{٤١} علي سيد أمير ترجمة رياض رأفت: مختصر تاريخ العرب و التمدن الإسلامي، ط١، دارالآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٣٦٠.
- ^{٤٢} علي سيد أمير ترجمة رياض رأفت: مختصر تاريخ العرب و التمدن الإسلامي، ط١، دارالآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٣٦٢
- ^{٤٣} -فاروق عمر فوزي: الوسيط في تاريخ الخليج العربي، ط١، دار الشروق، عمان (الأردن)، ١٧٥ ص، ٢٠٠٠
- ^{٤٤} مدينة مشهورة عظيمة، وهي من نواحي الجبل في آخر الإقليم الرابع، طولها ست وثمانون درجة، وعرضها ست وثلاثون درجة، تحت اثنتي عشرة درجة من السرطان، يقابلها مثلها من الجدي بيت ملكها مثلها من الحمل، بيت عاقبتها مثلها من الميزان، طول أصهبان أربع وسبعون درجة، وثلثان وعرضها أربعة وثلاثون درجة ونصف. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج ١ ص ٢٤٥ .
- ^{٤٥} ابن كثير: البداية والنهاية، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥
- الجزء ١١، ص ١٩
- ^{٤٦} ابن كثير: المصدر السابق، ص ٢
- ^{٤٧} حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، ط١٣، دار الجليل، مكتبة النهضة المصرية، بيروت، القاهرة، ١٩٩١، ج ٣، ص ٥١.
- ^{٤٨} سليمان الدخيل: الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، دارالآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٤ .
- ^{٤٩} سليمان الدخيل: الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، دارالآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٩
- ^{٥٠} حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، ط١٣، دار الجليل، مكتبة النهضة المصرية، بيروت، القاهرة، ١٩٩١، ج ٣، ص ٣٣٣
- ^{٥١} محمد الخضري بك: الدولة العباسية، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤، ص ٢٤٤ .

- الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الرِّكَاتَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحْجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيَصَدِّقُهُ. قَالَ فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ صَدَقْتَ، قَالَ فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) أخرجه الإمام مسلم ، في صحيحه ، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، ح(١٠٢) ، ج ١ ، ص ٢٨
- ^{١٥} سورة الأنعام : ١٢٠ .
- ^{١٦} الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة ، الشيخ السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي ، ص ١٧
- ^{١٧} أخرجه مسلم ، في صحيحه ، باب قوله(ص) لا تزال طائفة من أمتي ، ح(٥٠٩) ، ج ٦ ، ص ٥٢ .
- ^{١٨} سورة آل عمران : ١٦٣ .
- ^{١٩} المنهج الأحمد في ترجمة أصحاب الإمام أحمد ، ج ٣ ، ص ٣٨
- ^{٢٠} تذكرة المفتين في مناقب أبي الوفا تاج العارفين ، بيرشهرار ، د عماد رؤوف ، والدكتور زرار صديق ، جامعة أربيل ، ٢٠١٦ ، ص ٢٧
- ^{٢١} تذكرة المفتين في مناقب أبي الوفا تاج العارفين ، بيرشهرار ، د عماد رؤوف ، والدكتور زرار صديق ، جامعة أربيل ، ٢٠١٦ ، ص ٥
- ^{٢٢} ينظر: المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، ج ٣ ، ص ٤٠ .
- ^{٢٣} الشطنوفي ، بهجة الأسرار ، ص ١٤٣-١٤٤ ، وينظر قلائد الجواهر ، ص ٨٠-٨١ ، والطبقات الكبرى للشمس العارفي ، ج ١ ، ص ١٣٥
- ^{٢٤} المرجع نفسه ، ص ٨
- ^{٢٥} الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، مجير الحسبي ، الجزء الأول ، ص ٥٨
- ^{٢٦} تذكرة المفتين في مناقب أبي الوفا تاج العارفين ، بيرشهرار ، د عماد رؤوف ، والدكتور زرار صديق ، جامعة أربيل ، ٢٠١٦ ، ص ٢٧
- ^{٢٧} اتحاف الأكابر في سيرة ومناقب الإمام محيي الدين عبد القادر الجيلاني الحسني ، ثواب الحميد ، ص ٤٥٢ .
- ^{٢٨} موسوعة الكسنان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان ، الشيخ محمد عبد الكريم الكسنان ، ج ٢٣ ، ص ٨٥-٨٦ .
- ^{٢٨} ترجمته في كتاب : بهجة الأسرار ومناقب الأنوار في مناقب الباز الأشهب الشيخ عبد القادر الكيلاني ، للشيخ علي بن يوسف الشطنوفي ، تحقيق : د. جمال الدين فالح الكيلاني ، ص ١٦٨-١٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ، للذهبي يوسف بن قايمار ، ص ٢٦١ .
- ^{٢٩} ينظر: قلائد الجواهر ، للشيخ محمد بن يحيى ، ص ٧٨ ، وعلماؤنا في خدمة العلم والدين ، للشيخ عبد الكريم المدرس ، ص ٤٧٣ .
- ^{٢٩} ينظر: علماؤنا في خدمة العلم والدين ، للشيخ عبد الكريم المدرس ، ص ٤٧٣ .
- ^{٣٠} ينظر: خلاصة المفاهير في مناقب الشيخ عبد القادر رضي الله عنه ، للعلامة عبد الله بن سعد الياضي الشافعي ، تحقيق : الشيخ أحمد فريد الميززي ص ٢٤٦-٢٤٧ .

- ٢٦ رواه أحمد في المسند عن أبي هريرة : ج٣٦٨/٢ ، وأبو داود : ٣٢٠١ ،
 والترمذي : ١٠٢٤ وقال : حسن صحيح ، والنسائي في عمل اليوم والليلة :
 ١٧٩ ، وابن ماجه : ١٤٩٨ .
 ٢٧ أخرجه الزبيدي ، في إتحاق السادة المتقين ، ج ٣ ، ص ١٥٣ .
 ٢٨ سورة الحجرات : ١٤ .
 ٢٩ سورة الحجرات : ١٤ .
 ٨٠ تفسير ابن كثير : ج ٤ / ٢٢٠ .
 ٨١ رواه البخاري : ٢٧ ، ومسلم : ١٥٠ ، وأحمد في المسند : ج١/١٦٧ ، وأبو
 داود : ٤٦٨٣ ، والنسائي : ج١٠٣/٨ ، وابن حبان : ١٦٣ .
 ٨٢ جامع العلوم والحكم : ١١٣ - ١١٦ .

Abstract :

Praise be to Allah, we seek His help. Whomsoever Allah guides will never be led astray, and whomsoever Allah leaves astray, no one can guide. I bear witness that there is none worthy of worship but Allah (alone with no partners) and I bear witness that Muhammad is His slave and Messenger. To proceed

The venerable Islamic history bears with it clear imprints of many scholars, of whom Kurdish scholars constituted a large part. The study will clarify what these scholars were upon in terms of high determination and good luck. Among the most prominent of these Kurdish scholars is Taj Al-Arafin, Abu Al-Wafa Al-Kurdi (d. 501 AH), who is not known to many Muslims, let alone the Kurds of his nationality. The research came as a highlight of the scientific position and a statement of a historical era associated with Abu al-Wafa' al-Kurdi and his role in Sufism. The study, Abu al-Wafa al-Kurdi and his position in Sufism, concludes by presenting what benefits the reader and adorns history with men whose nationalities varied and their goals were united.

- ٥٢ المصدر نفسه ، ص ٣٨٠
 ٥٣ - السيوطي: تاريخ الخلفاء، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٤، ص٣٦٨
 ٥٤ السيوطي: تاريخ الخلفاء، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٤، ص٣٧٠
 ٥٥ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١٣، دار الجيل، مكتبة النهضة المصرية، بيروت، القاهرة، ١٩٩١، ج٣، ص ٣٤٥
 ٥٦ سليمان الدخيل: الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، دارالآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٧٩
 ٥٧ سليمان الدخيل: الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، دارالآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٦١
 ٥٨ - مصطفى الرافعي: حضارة العرب، ط ٤، دار الكتاب العالمي، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٧٠
 ٥٩ سليمان الدخيل: الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، دارالآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٧٥
 ٦٠ حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق: ج ٤، ص ٥٨٦ .
 ٦١ ابن الأثير المصدر السابق، ص ٣٩٥ .
 ٦٢ سليمان الدخيل: الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، دارالآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٨٧
 ٦٣ سورة الكهف : ٦٦ .
 ٦٤ فلانند الزبرجد ، ص ١٥٧
 ٦٥ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١٣، دار الجيل، مكتبة النهضة المصرية، بيروت، القاهرة، ١٩٩١، ج٣، ص ١٢٥
 ٦٦ المصدر نفسه ، ص ١٢٧
 ٦٧ سليمان الدخيل: الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، دارالآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٩٠
 ٦٨ تاج العارفين أبي الوفا كاكيس في طبقة المشايخ العارفين ، للشيخ ابن عبد المحسن الواسطي ، الجزء الثاني ، ص ١
 ٦٩ التاريخ المعتبر في أنباء من عبر ، محيي الدين العلمي الحنبلي ، الجزء الثالث ، دار النوادر ، ص ١٢١
 ٧٠ تاج العارفين أبي الوفا كاكيس في طبقة المشايخ العارفين ، للشيخ ابن عبد المحسن الواسطي ، الجزء الثاني ، ص ٥٦
 ٧١ تاج العارفين أبي الوفا كاكيس في طبقة المشايخ العارفين ، للشيخ ابن عبد المحسن الواسطي ، الجزء الثاني ، ص ٥٨
 ٧٢ تاريخ إربل ، ابن المستوفي الإربلي ، الجزء الثاني ، ص ٤٦
 ٧٣ تاج العارفين أبي الوفا كاكيس في طبقة المشايخ العارفين ، للشيخ ابن عبد المحسن الواسطي ، الجزء الثاني ، ص ١٧١
 ٧٤ تاج العارفين أبي الوفا كاكيس في طبقة المشايخ العارفين ، للشيخ ابن عبد المحسن الواسطي ، الجزء الثاني ، ص ١٩٠
 ٧٥ رواه أحمد في المسند : ج١٤٣/٣ ، وابن أبي شيبه : ج ١١ / ١١ ، وأبو يعلى : ٢٩٢٣ ، والبزار : ٢٠ .